

أضواء البيان

@ 75 من محققي العلماء والحفاظ والنقاد . انتهى محل الغرض من كلام ابن كثير رحمه

الله تعالى ، وهو واضح جداً فيما ذكرنا . .

الأمر الثاني أن الجمع بين الأدلة واجب متى ما أمكن بلا خلاف . لأن إعمال الدليلين أولى من إلغاء أحدهما . ولا وجه للجمع بين الأدلة إلا هذا القول بالعدول والامتحان . فمن دخل النار فهو الذي لم يمثل ما أمر به عند ذلك الامتحان ، ويتفق بذلك جميع الأدلة ، والعلم عند الله تعالى . .

ولا يخفى أن مثل قول ابن عبد البر رحمه الله تعالى : إن الآخرة دار جزاء لا دار عمل لا يصح أن ترد به النصوص الصحيحة الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم . كما أوضحناه في كتابنا (دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب) . ! 7 7 ! قوله تعالى : { وَإِذْ آتَيْنَاكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ فَقَالَ أَتَدَارِكُنَا بِهَذَا الْكِتَابِ الَّذِي وَضَعْنَا لَنُخَوِّدَ بِهِ أُولَئِكَ أَتَخْتَفِي } . في معنى قوله { أَمَرْنَا } مُتَّخِذِينَ لَهَا مِثْلَ حَقِيقَتِهَا . في هذه الآية الكريمة ثلاثة مذاهب معروفة عند علماء التفسير : . الأول وهو الصواب الذي يشهد له القرآن ، وعليه جمهور العلماء أن الأمر في قوله { أَمَرْنَا } هو الأمر الذي هو ضد النهي ، وأن متعلق الأمر محذوف لظهوره . والمعنى : { أَمَرْنَا } مُتَّخِذِينَ لَهَا مِثْلَ حَقِيقَتِهَا بطاعة الله وتوحيده ، وتصديق رسوله وأتباعهم فيما جاؤوا به { فَفَسَقُوا } أي خرجوا عن طاعة أمر ربهم ، وعصوه وكذبوا رسوله { فَخَسَفْنَا } أي جعلنا لهم ما كانوا يعملون { فَخَسَفْنَا } أي وجب عليها الوعيد { فَخَسَفْنَا } أي أهلكناها إهلاكاً مستأصلاً . وأكد فعل التدمير بمصدره للمبالغة في شدة الهلاك الواقع بهم . .

وهذا القول الذي هو الحق في هذه الآية تشهد له آيات كثيرة . كقوله : { وَإِذْ آتَيْنَاكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ فَقَالَ أَتَدَارِكُنَا بِهَذَا الْكِتَابِ الَّذِي وَضَعْنَا لَنُخَوِّدَ بِهِ أُولَئِكَ أَتَخْتَفِي } . فتصريحه جل وعلا بأنه لا يأمر بالفحشاء دليل واضح على أن قوله { أَمَرْنَا } مُتَّخِذِينَ لَهَا مِثْلَ حَقِيقَتِهَا { أَمَرْنَا } أي أمرناهم بالطاعة فعصوا . وليس المعنى أمرناهم بالفسق ففسقوا . لأن الله لا يأمر بالفحشاء . . ومن الآيات الدالة على هذا قوله تعالى : { وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتَّخِفُوهَا إِنَّا بِهَا أَرْسَلْنَا وَحَايَافَ وَمَا نَحْنُ بِمُوعِدِينَ } . فقولنا في هذه الآية { وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ } .

